ذكرى من سورية
أو جولات مهندس جغرافي
في حلب (١٨٣١ - ١٨٣٢)

تأليف كميل كالييه
تحقيق وعرض حسين عصمت المدرّس
وأوليفيه سالمون

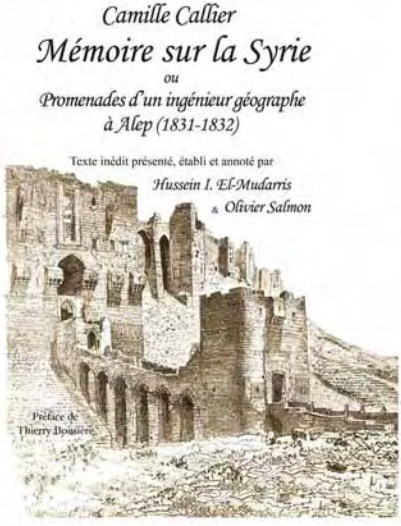

Camille Callier
Mémoire sur la Syrie (1831-1832)

تلخيص وتعليق المهندس عبد الله حجّار

تمهيد

إنّه كتاب جديد حقّقه وأصدره الباحثان **حسين المدرّس** و**أوليفيه سالمون** حول نصّ مخطوط غير معروف للمهندس الجغرافي **كميل كالييه**، فيه وصف لمدينة حلب ومبانيها التاريخية، في الفترة التي غزا فيها **إبراهيم باشا ابن محمّد علي باشا** المصري سورية، والدّور الذي قام به المؤلّف في إقناع المصريين بالانسحاب من سورية، والذي أدّى إلى منحه وسام الافتخار العثماني من السلطان **عبد المجيد** العام ١٨٤٢.

زادت صفحات الكتاب القيّم جدّاً في معلوماته الدقيقة عن الوضع العمراني لمدينة حلب في بداية الثلاثينيّات من القرن التاسع عشر على ٢٠٠ صفحة. وقد أغنت هذه المعلومات الرسوم والصور النادرة القديمة والصور المقارنة الحديثة والتي زاد عددها على المئة صورة أضافها الباحث الفنّان الدكتور **حسين** إلى الكتاب، وهو يذكّرنا بقاموس "**لاروس**" الذي يعتبر أنّ النصّ بدون صور مثل هيكل عظمي دون جسد..وقد صدر الكتاب عن **دار المدرّس** بالتعاون مع دار "**شعاع للطباعة والنشر**" التي تهتمّ بنشر الكتب التراثية عن حلب بشكل خاصّ.

وما أثّر فيّ بشكل خاصّ إهداء المحقّقين الكتاب للدكتور **محمود حريتاني** ولي، باعتبارنا "محبّي حلب اللذين لا يتعبان". لقد عرف الصديقان المحقّقان أنّنا سنقدّر أهمّية معلومات الكتاب حقّ قدرها، فشكراً لهما من القلب على التعريف بخفايا حلب في العام (١٨٣١-١٨٣٢) من نصّ غير معروف من قبل.

لذلك، رأيت من واجبي تعريف قرّاء العربية بالباحث والكتاب نظراً إلى أهمّية ذلك في بدايات التخطيط العمراني، وحتّى قبل صدور مخطّط يونغ التنظيمي لمدينة حلب العام ١٨٩٩. ويحتاج الكتاب في الواقع بكامله إلى الترجمة إلى العربية. وكلّ الشكر للصديقين

الدكتورين **حسين المدرّس وأوليفيه سالمون**، صديقَي تراث حلب، على تعريفنا بهذا الوصف وهو كنز دفين من كنوز حلب التي تكشف كلّ فترة عن مزيد من مفاتنها التي لا تُحصى.

المهندس الجغرافي كميل كالييه

وُلد **كميل كالييه** العام ١٨٠٤ واتّجه نحو الحياة العسكرية ودخل مدرسة البوليتكنيك ثمّ مدرسة المهندسين الجغرافيين. وعمل العام ١٨٢٨ في قسم خريطة فرنسا في الأشغال العامّة وأصبح عضواً في الجمعية الجغرافية العام ١٨٣٠ قبل إرساله في مهمّة إلى الشرق لمدّة أربع سنوات، عاد بعدها إلى فرنسا، ومُنح لقب فارس في جوقة الشرف العام ١٨٣٥ والميدالية الذهبية للجمعية الجغرافية العام ١٨٣٦، وأصبح سكرتيرها العامّ في ١٨٣٦. ثمّ وُضع تحت تصرّف وزارة الخارجية الفرنسية التي أرسلته في مهمّة حمامة سلام إلى مصر وسورية لوضع حدّ للحرب الدائرة بين العثمانيين والمصريين. كذلك كُلّف في ما بعد بمهمّة في الجزائر، وعُيّن العام ١٨٧٠ قائداً أعلى للدفاع عن أسوار باريس التي حاصرها الألمان. وأُحيل إلى التقاعد بناءً على طلبه العام ١٨٧٨ وتوفّي في باريس في ١٢ كانون الثاني العام ١٨٨٩.

ويعلمنا المحقّقان أنّ أرملة **كالييه** عهدت بالمخطوط إلى أحد علماء الآثار الذي عهدت أرملته به، بدَورها، إلى المكتبة الوطنية في باريس، وقد حمل عنوان "ذكرى من سورية"، وتألّف من ٢١٩ ورقة بأبعاد ٣١×٢١ سم أغناها المحقّقان بالحواشي والصور الرائعة قديمها وحديثها. ونوّه **تييرّي بواسيير** مدير المعهد الفرنسي في الشرق الأدنى بحلب، في تقديمه للكتاب، بأهمّية النصّ على قصره في وصف حالة حلب في فترة سياسية غير مستقرّة تعرّضت لها بدخول الجيوش المصرية العام ١٨٣٢ والموهبة الأدبية التي يتمتّع بها **كالييه** وهو الفنّي الاختصاصي في رسم المخطّطات والخرائط.

مهمّة كالييه في الشرق

أُرسل **كالييه** مع زميل جغرافي (توفّي بعد وصوله حلب بأيّام ويُدعى **ستاماتي** Stamaty) في مهمّة اقتفاء أثر خطّ سير الحملات الصليبية إلى أنطاكية والقدس. وكان المطلوب منه دراسة جغرافية المنطقة غير المعروفة جيّداً في آسيا الصغرى وسورية وبترا والعربية، مع الإجابة عن أسئلة محدّدة مطلوبة من الجمعية الجغرافية (باربييه دو بروكاج) وعن قلعة سمعان العمودي وسواها.. وخلال عودته قدّم **كالييه** للجمعية الجغرافية العام ١٨٣٥ خريطة لسورية الجنوبية وفلسطين بمقياس ١/١٠٠٠٠٠ ما أهّله لتسلّم الميدالية الذهبية للجمعية الجغرافية العام ١٨٣٦. وكان من هواياته اهتمامه بجمع نماذج من أنواع الصخور والنباتات والحشرات بالإضافة إلى بعض الكتابات..

حُوّلت مهمّة **كالييه** إثر احتلال **إبراهيم باشا** سورية العام ١٨٣٢ إلى مهمّة تقديم

معلومات عن الأحداث في سورية وإقناع **محمّد علي** بإيقاف الحرب ضدّ العثمانيين وقبول التحكيم والتفاوض لإحلال السلام على أسس متينة. من أجل ذلك حضر **كاليبه** مرّة أُخرى إلى الإسكندرونة. ووصل حلب في ٢٦ حزيران ١٨٣٩ لمقابلة **إبراهيم باشا** الذي انتصر في معركة نصيبين ضدّ العثمانيين، وانضمّ إليه ليقنعه بعدم التقدّم أكثر والتوقّف في مرعش. وبقي في حلب شهر آب ونزل في ٢ أيلول لمقابلة **محمّد علي** في مصر. لكنّ تدخّل الجيوش البريطانية في سورية العام ١٨٤٠ جعل الجيوش المصرية تنسحب. وقد مُنح **كاليبه** وسام "نيشان الافتخار" من قبل **السلطان عبد المجيد** في كانون الأوّل ١٨٤٢ لقاء سعيه في إحلال السلم. وقد ظلّ **كاليبه** نشيطاً خلال الحرب بين روسيا والعثمانيين في الخمسينيّات من القرن التاسع عشر.

كاليبه وجولاته في حلب

وصل **كاليبه** حلب في أيلول ١٨٣١ وأقام في خان الطاف إلى الغرب من كنيسة الشيباني وأمام دير الرهبان الفرنسيسكان. توفّي زميله **ستاماتي** بعد عدّة أيّام من وصوله إلى حلب وحزن كثيراً لذلك. وبنهاية تشرين الثاني رحل إلى أنطاكية وأضنة وكبادوكيا، وعاد في نهاية العام إلى حلب ليبقى فيها حوالي ثلاثة أشهر قام خلالها بجولاته (نزهاته) ودراساته الجدّية عن حلب، سافر بعدها إلى لبنان وقبرص وصُوْر وفلسطين.. ثمّ إلى فرنسا في كانون الأوّل ١٨٣٤.

لم ينشر **كاليبه** مخطّطاً عن حلب إثر جولاته (نزهاته) الأربع التي قام بها في أنحاء المدينة القديمة والأسوار وما حولها، لأنّه قدّم ملاحظاته عن هذه المباني إثر كلّ جولة بأسلوب أدبي وشاعري راقٍ وصف فيه ما رآه وما أحسّ به. وكانت كلّ نزهة تبدأ من خان الطاف وتنتهي إليه، وكانت النزهة الأُولى حول أسوار المدينة، والثانية في شرق وشمال حلب، والثالثة اختصّت بالمباني الهامّة في المدينة القديمة، والرابعة زار فيها الضاحية الجنوبية من حلب، دون أن ينسى التعرّض لزلزال حلب المدمّر العام ١٨٢٢ وأحوال "القرباط" والمجانين ووصف وصول قافلة من بغداد وسوى ذلك بأسلوب شعري يظهر موهبة أدبية عالية لدى كاتب استوعب سحر الشرق وعبّر عنه بإبداع.

والواقع أنّه يجب أن نذكر أنّ أقدم مخطّط يُظهر طبوغرافية حلب قام برسمه **كارستن نيبور** Carsten Niebuhr (١٧٣٣-١٨١٥) طبوغرافي البعثة العلمية التي أرسلها ملك الدانمرك **فريدريك الخامس** لدراسة منطقة "العربية". وقد رسمه خلال إقامته بحلب (قبل العام ١٧٩٤) في طريقه إلى الجزيرة العربية وأعطى نسخة منه إلى صديقه الدكتور **باتريك راسل** (١٧٢٧-١٨٠٥) الذي كان يقيم آنذاك في حلب والذي نشره في الطبعة المعدّلة لكتابه "تاريخ حلب الطبيعي" الذي صدرت منه طبعة ثانية العام ١٧٩٤. ولم ينشر مخطّط **نيبور** إلاّ العام ١٨٣٧.

ويبدو أنّ **كاليبه** لم يطّلع على مخطّط **نيبور**، لكنّه بالتأكيد شاهد مخطّط قنصل فرنسا بحلب **جان باتيست روسّو** المنظّم العام ١٨١١، الذي دقّقه وأكمله العام ١٨١٨ قبل إرساله إلى

جان – دونيز باربييه دو بوكـــاج Jean – Denis Barbié du Bocage الذي طبعــه العــام ١٨٢٥ ونشره تحت عنوان "وصف مدينة حلب" صفحة ١٩٤-٢١٧ و"ملاحظة على الخريطــة العامّــة لباشليك بغداد وأورفة وحلب وعلى مخطّط **روسّو** عن حلب" صفحة ٢١٨-٢٤٤ فــي "حــصاد الأسفار والذكريات" إصدار وطبع الجمعية الجغرافية، الجزء الثاني، العام ١٨٢٥.

ويبدو أنّه بسبب اطّلاع **كاليبه** على مخطّط **روسّو** وملاحظات **دوبوكاج** التفصيلية عليــه لم يشأ، وهو الطبوغرافي المحنّك والخبير، أن يرسم أو يضيف شيئاً جديــداً علــى المخطّــط، واكتفى بالوصف الرائع للمباني والبيئة المشاهَدة والإنسان المقيم مستعيناً بأسلوبه الأدبي وموهبته المبدعة خلال نزهاته الشاعرية بين أحياء حلب العتيقة ومبانيها الخالدة وسكّانها الطيّبين.

تألّفت المخطوطة من ستّة فصول. تحدّث الفصل الأوّل عن تكوين حلب وتسمياتها بــين حلب وحلبون وبيريا وحلب الشهباء وحديث النزهة الأُولى عن خان الطاف وخان الشيباني ودير الرهبان الفرنسيسكان وبيت دوريغيلو (صولا) والبيمارستان النوري وجامع البهرميــة (شــارع عمر أفندي) وزلزال العام ١٨٢٢ وباب أنطاكية والسور وباب الجنائن والتكية المولوية وبــاب الفرج وقسطل السلطان وباب النصر (باب مار جرجس) وباب الحديد والباب الأحمــر وبــاب النيرب وباب المقام وباب قنّسرين قرب السجن والخندق وحول البلدة.

يتكلّم الفصل الثاني من الكتاب عن الدبّاغات والجسر على نهر القويق والبساتين وطبيعة ومزروعات المنطقة وعن "القرباط" فيها وعن حيّ الكتّاب ومقابر المسلمين والنواعير والــسمك في القويق وفي الفرات ووصف البساتين وقناة وصل الساجور بالقويق والبساتين وقنــاة حلــب والمغاور والشيخ أبو بكر وجبل العضام وقلعة الشيخ يبرق ومدافن اليهود والمــسيحيين وجبــل النهر والحيّ اليهودي في بحسيتا ومدخل "المدينة" والخانات، وبخاصّة مكــان إقامــة إرســالية اللعازريين والكبّوشيين وقنصلية فرنسا القديمة مع وصف الأسواق والمقاهي وقره كوز عيــواظ والرواة (جمع راوٍ) في المقاهي.

ومع الفصل الثالث يتابع المؤلّف نزهاته واصفاً خان الجمرك الهامّ وعمل الجمركي ودير الكرمليت والجامع الكبير (**زكريّا**) والقصر والسرايا وجامع العادلية العثماني الجميل. ويرصّــع الفصل بصور جميلة ملتقطة من بداية القرن العشرين ونصفه الأوّل لمئذنة الجامع الكبير وحلب وجامع العادلية مع صور حديثة للمقارنة.

ونتابع مع الفصل الرابع الجولة في القسم الجنوبي من حلب منطلقاً كالعــادة مــن خــان الطاف الذي يقيم فيه مروراً بمصبنة قبل وصوله إلى **باب قنّسرين**. ويذكر أنّ سبع مصابن تكفي حاجة المدينة والضواحي وقرى الجوار. وكان هناك مقهى غير بعيد عن **باب قنّسرين** يرتــاده جنود حامية الباب. ويمرّ بكروم الفستق والكلاّسة وجبل الــشيخ محــسّن (ويــسمّيه الإفــرنج إيزوليتي Isoletti) الذي يبدع المؤلّف في وصف مشهد مدينة حلب منه عنــد المغيــب. ويــذكر

المغاور وصانعي الحبال وعمّال معامل النسيج، ويذكر الشالات والكشمير والسجّاد العجمي والتركي الذي ليس له مثيل في المصانع الأوروبّية، ويعقّب قائلاً: "يبدو أنّ هذه الموهبة في إنتاج الفروق الناعمة في شفافية الألوان بانسجام كبير هي إحساس غريزي لدى شعوب الشرق". ويذكر القنباز للرَجل والفستان للمرأة المصنوعين من الحرير الطبيعي الذي يُجلب غالباً من أنطاكية، ويزيّن الكتاب صورة شراء شرانق الحرير في أنطاكية من بداية القرن العشرين. وقد تناقص إنتاج البضائع والثياب الفاخرة والمطرّزة بخيوط الذهب والفضّة مع فقر السكّان. وتتابع الجولة مروراً بساحة بزّة وقلعة الشريف وباب المقام ليعود إلى خان الطاف مروراً بجامع العادلية.

في الفصل الخامس يبدي الكاتب دهشته من خلوّ حلب من المعالم الأثرية القديمة، ويذكرها المؤرّخ **سترابون** باعتبارها بلدة صغيرة غير ذات أهمّية بالمقارنة مع أنطاكية وأفاميا واللاذقية، ولا تقدّم المدينة للرحّالة بقايا رومانية أو بيزنطية هامّة مثل القسطنطينية، وتعتبر بموقعها على طرف الصحراء مثل مرفأ لهذا البحر من الرمال، تأتيها القوافل الكبيرة من البصرة وبغداد وفي أسواقها الشهيرة بين أسواق الشرق تُتبادل سلع الهند وإيران وتركيّا وأوروبّا. ويصف المؤلّف مسيرة قافلة وكيفية دفاعها عن نفسها في حال مهاجمتها من البدو، كما يصف سعاة البريد على جِمالهم ومشاهدته أحد السعاة القادم من بغداد إلى حلب، ويذكر كذلك حمام الزاجل الذي يُستخدم في نقل الرسائل الصغيرة وفي المسافات القصيرة.

وكُرّس الفصل السادس والأخير من الكتاب لسكّان حلب بمختلف أطيافهم من مسلمين ومسيحيين ويهود ولوجود الإرساليّات الكاثوليكية في حلب منذ العام ١٦٢٥ (اللعازريون في خان البنادقة والكبّوشيون في خان أبرك والكرمليون في خان الجمرك والرهبان الفرنسيسكان في خان الشيباني). ويتعرّض لثورة الشعب التي استمرّت مئة يوم ويوماً في عهد الوالي **خورشيد** العام ١٨١٩. ويذكر زلزال العام ١٨٢٢ وما أحدثه من دمار في شوارع حلب ومبانيها. ويذكر أنّ عدد سكّان حلب العام ١٨٣٢ هو ٧٥٠٠٠ نسمة منهم ٥٠٠٠٠ مسلمون موزّعون بين إنكشارية وأشراف (السيّدا) و٢٥٠٠٠ مسيحيون يقطنون في "الجديدة" (ربّما الرقم مبالغ به) منهم ٢٣٠٠٠ كاثوليك (١١٠٠٠ روم كاثوليك و٦٤٠٠ أرمن كاثوليك و٤٠٠٠ سريان كاثوليك و١٧٠٠ موارنة) و٢٠٠٠ أرثوذكس (منهم ١٥٠٠ أرمن أرثوذكس و١٠٠ نساطرة، ونسي **كالييه** أن يذكر الروم الأرثوذكس). وكان القنصل الفرنسي **شوفالييه دارفيو** قد قدّر عدد سكّان حلب في العام ١٦٨٣ بـ ٢٨٥٠٠٠ نسمة (٢٥٠٠٠٠ مسلم و٢٥٠٠٠ – ٣٠٠٠٠ مسيحي). ويذكر تقرير لليسوعيين أنّ طاعون العام ١٧١٩ أباد ١٢٠٠٠٠ نسمة من سكّان حلب. وقد تراجع عدد السكّان بين التاريخين المذكورين (١٦٨٣ و١٨٣٢) إلى الربع تقريباً بسبب انحدار التجارة والأوبئة والأمراض المعدية والحروب والزلازل. ويذكر **كالييه** أنّ عدد اليهود في حلب

في أيّامه حوالي ٢٠٠٠ عائلة يسكن معظمهم في محلّة بحسيتا حيث كنيسهم، وقلّة منهم عائلات غنية مثل عائلة **بيجوتو** التي مثّل أفرادها معظم قناصل الدول الأجنبية بحلب، واحتكارهم مهنة الصرافة وحذقهم في عقد الصفقات التجارية. وذكر بعض التقاليد الخاصّة في زواج اليهود وتأكّدهم من بتولية العروس يوم الزواج.

والطريف أنّ **كاليبه** يذكر أنّه: "في الكنائس الكاثوليكية بحلب يقدّمون صلوات القدّاس كلّ بلغته الأصلية، اليونانية أو السريانية أو الأرمنية، لكنّ الإنجيل كان يُقرأ بالعربية كي يفهم المؤمنون مضمون القراءات المقدّسة، وهذا معقول". ويتساءل، بدَوره، ألا يمكن تبنّي شيء مماثل في الكنيسة اللاتينية في أوروبّا؟ (حيث يقدّم القدّاس لدى الكاثوليك باللاتينية وهي لغة بائدة لا يتكلّمها أحد).

والواقع أنّه تمّ إنجاز كبير مع مقرّرات المجمع الفاتيكاني الثاني العام ١٩٦٤ حيث سُمح لكلّ طائفة كاثوليكية في العالم أن تتلو صلواتها في القدّاس بلغاتها الأصلية الفرنسية أو الإنكليزية أو الألمانية أو الإيطالية أو الإسبانية أو العربية... كي تفهم جماهير المؤمنين معنى الصلوات والابتهالات، ولا مانع من استعمال بعض التراتيل الدينية الشهيرة باللغة اللاتينية أو اللغات الطقسية الأُخرى. وهذا ما يتمّ حاليّاً لدى الطوائف المسيحية بحلب على اختلافها.

وأضاف المحقّقان ملاحق لفصول الكتاب ضمّت رسائل وثائقية وجّهها **كميل كاليبه** إلى الجمعية الجغرافية وإلى **جوزيف – فرانسوا ميشو** وإلى والده، بالإضافة إلى ترجمة براءة وسام الافتخار الذي منحه إيّاها **السلطان عبد المجيد**.

إذاً، الكتاب بحقّ دعوة لاكتشاف المباني التاريخية في حلب ضمن الأسوار وما حولها من خلال جولات مفيدة للسائح المعاصر. وهو بفصوله وصوره الجميلة المضافة، التي أضفت بُعداً جَمالياً للوصف الشاعري بأدبه الراقي، يُعتبر لبنة هامّة تضاف إلى بنيان التعريف بذاكرة حلب في مختلف مراحلها التاريخية، والذي يقوم الصديقان الباحثان الدكتور **حسين المدرّس** والدكتور **أوليفيه سالمون** بتقديمه. ■

One of these writings is 'Mémoire sur la Syrie', a manuscript written by Camille Callier around 1836 which speaks of Aleppo city and its surrounding. Callier served as a military officer and, towards the end of his diplomatic mission, he was appointed as a General of the French army. The manuscript, placed at the French National Library in Paris, attracted the attention of Hussein I. El Mudarris (Syria) and Olivier Salmon (France) who decided to turn their finding into a book.

Camille Callier (1804 1889) had the chance to discover the secrets of Middle Eastern territories through his position as a geography engineer sent by the French government to study the topographical values of Cyprus, Asia Minor, Syria, Lebanon, Palestine and the Sinai. At the early age of 26, the young officer found it extremely difficult to move between these countries with a limited choice of transportation and with a very poor command of Arabic language.

From September to October 1831, he had his first two-month visit to Aleppo city, and this led to a second visit from December 1831 to April 1832. He stayed at Khan al Tâf and made several excursions in and around the town where he wrote down in his diary what he found and saw.

Speaking of language, Callier didn't lean much on technical scientific terms as much as well-expressed vocabulary and eloquent style. This is in addition to the poetic descriptions of Aleppo seen at sunset from jebel Sheikh Muhassin (a nearby mountain) and of its romantic gardens along the Quwaiq River crossing the city from the north to the east.

His poetry is not a mere ornamentation of language but rather an anthropologic method to understand the East and its inhabitants and further explain it to western audiences. Callier says: ***«In a country full of poetry, things must be seen through poetry to enjoy its impact on the Oriental minds. Don't we know that poetry is the daughter of the East?"***

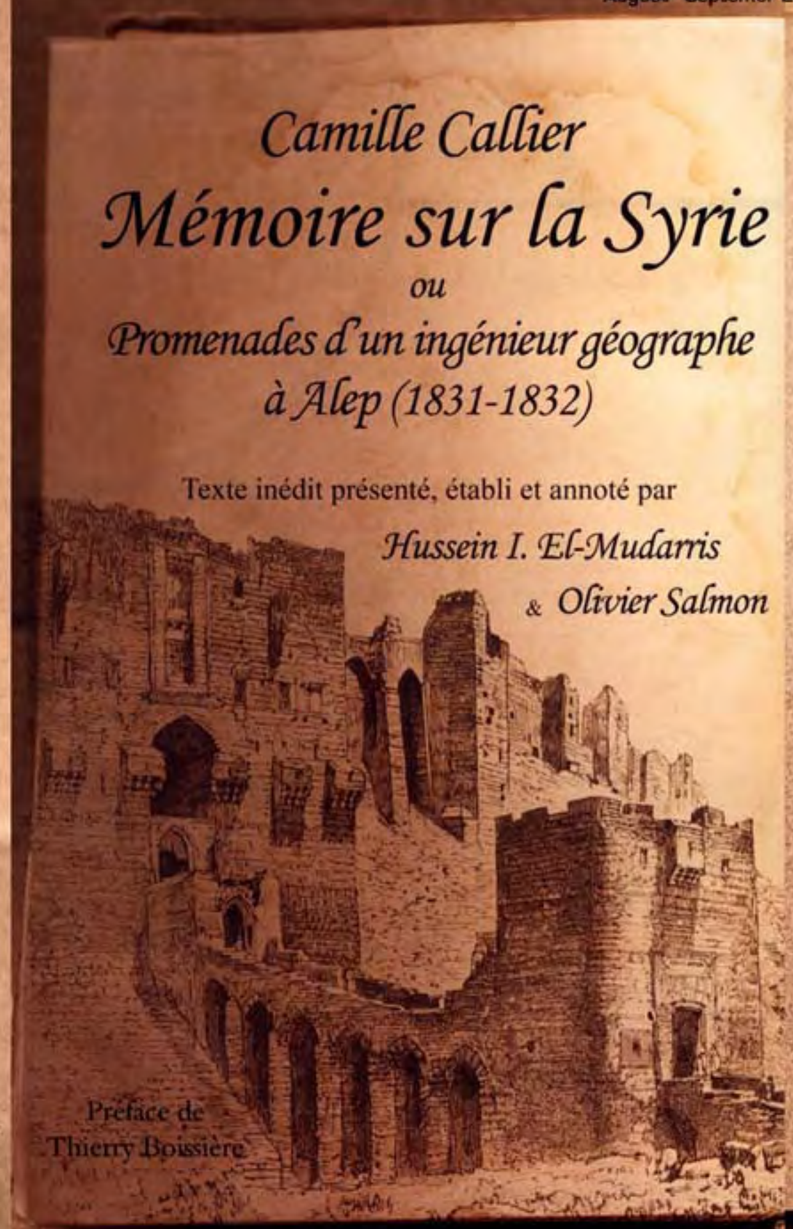

Author:
Camille Callier

Edited by:
Hussein I. El-Mudarris and Olivier Salmon

Reviewed by:
Elsy Melkonian

The exquisite and myth-like atmosphere and landscape of Syrian cities leave unforgettable impressions on their visitors, especially those who come from the west. This effect has always motivated many western travelers to release books detailing whatever they felt and experienced during their stay in Syria.

The text is divided into four journeys: The first is a tour of the ramparts and gates of Aleppo, the second is an excursion in the eastern and northern outskirts with a way back to Bâb al Faraj and the souks, the third is a visit of the major monuments of the old city and the fourth is a description of the southern suburbs.

Callier's presentation resembles touristic guide textbooks, but the 180 old and new photos added by Hussein El Mudarris and Olivier Salmon (the old ones date back to 19th century) enrich the information previewed in the book and lead the reader to discover the changes and the differences between the past and the current face of Aleppo city.

Dr. Thierry Boissière, Director of the French Institute for Middle East Studies (Ifpo) in Aleppo, wrote the preface of the book which is dedicated to Mahmoud Hretani and Abdallah Hajjar, both well-known Aleppian historians and tourist guides who did their best to introduce Syria in a proper manner to every foreigner.

Dr. Hussein I. El Mudarris is an Aleppian historian who has served as honorary consul of the Netherlands in Aleppo for many years. Recently, he decided to abandon his position to concentrate on his researches and spread the knowledge around through exhibitions held in Syria and abroad. He edited several books together with Olivier Salmon, a French scholar who is currently writing his PhD on Aleppo city at the University of Sorbonne in France.

Among these books are: Aleppo under the consulate of Henri Guys (1838-1847), The French Consulate at Aleppo in the 17th Century, Travel to the East by the French poet Lamartine, Romantic Travel through Bartlett's Engravings, Souvenir from Damascus and The Relations between the Netherlands and Ottoman Syria.

A remarkable series of their joint work could be seen through: **www.aleppoart.com.**

One of these writings is 'Mémoire sur la Syrie', a manuscript written by Camille Callier around 1836 which speaks of Aleppo city and its surrounding. Callier served as a military officer and, towards the end of his diplomatic mission, he was appointed as a General of the French army. The manuscript, placed at the French National Library in Paris, attracted the attention of Hussein I. El Mudarris (Syria) and Olivier Salmon (France) who decided to turn their finding into a book.

Camille Callier (1804 1889) had the chance to discover the secrets of Middle Eastern territories through his position as a geography engineer sent by the French government to study the topographical values of Cyprus, Asia Minor, Syria, Lebanon, Palestine and the Sinai. At the early age of 26, the young officer found it extremely difficult to move between these countries with a limited choice of transportation and with a very poor command of Arabic language.

From September to October 1831, he had his first two-month visit to Aleppo city, and this led to a second visit from December 1831 to April 1832. He stayed at Khan al Tâf and made several excursions in and around the town where he wrote down in his diary what he found and saw.

Speaking of language, Callier didn't lean much on technical scientific terms as much as well-expressed vocabulary and eloquent style. This is in addition to the poetic descriptions of Aleppo seen at sunset from jebel Sheikh Muhassin (a nearby mountain) and of its romantic gardens along the Quwaiq River crossing the city from the north to the east.

His poetry is not a mere ornamentation of language but rather an anthropologic method to understand the East and its inhabitants and further explain it to western audiences. Callier says: ***«In a country full of poetry, things must be seen through poetry to enjoy its impact on the Oriental minds. Don't we know that poetry is the daughter of the East?"***

The text is divided into four journeys: The first is a tour of the ramparts and gates of Aleppo, the second is an excursion in the eastern and northern outskirts with a way back to Bâb al Faraj and the souks, the third is a visit of the major monuments of the old city and the fourth is a description of the southern suburbs.

Callier's presentation resembles touristic guide textbooks, but the 180 old and new photos added by Hussein El Mudarris and Olivier Salmon (the old ones date back to 19th century) enrich the information previewed in the book and lead the reader to discover the changes and the differences between the past and the current face of Aleppo city.

Dr. Thierry Boissière, Director of the French Institute for Middle East Studies (Ifpo) in Aleppo, wrote the preface of the book which is dedicated to Mahmoud Hretani and Abdallah Hajjar, both well-known Aleppian historians and tourist guides who did their best to introduce Syria in a proper manner to every foreigner.

Dr. Hussein I. El Mudarris is an Aleppian historian who has served as honorary consul of the Netherlands in Aleppo for many years. Recently, he decided to abandon his position to concentrate on his researches and spread the knowledge around through exhibitions held in Syria and abroad. He edited several books together with Olivier Salmon, a French scholar who is currently writing his PhD on Aleppo city at the University of Sorbonne in France.

Among these books are: Aleppo under the consulate of Henri Guys (1838-1847), The French Consulate at Aleppo in the 17th Century, Travel to the East by the French poet Lamartine, Romantic Travel through Bartlett's Engravings, Souvenir from Damascus and The Relations between the Netherlands and Ottoman Syria.

A remarkable series of their joint work could be seen through: **www.aleppoart.com.**

المشرق

مؤسّسها الأب لويس شيخو اليسوعيّ
عام ١٨٩٨

السّنة الخامسة والثّمانون الجزء الأوّل كانون الثاني – حزيران ٢٠١١

Mémoire sur la Syrie
ou Promenades d'un ingénieur géographe à Alep (1831-1832)
Par Camille Callier
El-Mudarris, 2010, 208 pages

في ٧ آذار من العام ١٨٠٤، وُلِدَ كميل أنطوان كالّيي في فرنسا، وبعد سنوات، بدأ يسير على خُطى أبيه فتوجّه إلى المجال العسكريّ ودخلَ كلّيّة العلوم التقنيّة (١٨٢٣). لقد خدمَ وطنه فرنسا فترةً طويلة، كما أُرسِلَ إلى بلدانٍ أخرى في مَهامَّ سياسيّة، كمصر وسوريا، لمحاولة وضع حَدّ للحرب بين العثمانيّين والمصريّين العام ١٨٣٩. أمّا الحَدث الأهمّ الذي ساهمَ في تأليفه هذا الكتاب فكان تعيينه عضوًا في الجمعيّة الجغرافيّة، آذار ١٨٣٠، قبل ذهابه في مَهمّة أربع سنوات ببلاد الشرق.

إنّ كميل كالّيي، بالرغم من إنجازاته المتعدّدة، وقدراته الثقافيّة والسياسيّة، والأوسمة الفرنسيّة والأجنبيّة التي حصل عليها طوال خدمته الدبلوماسيّة والعسكريّة، يبقى مجهولًا إلى حدٍّ بعيد. في الحقيقة، لم يكن أمينَ سرٍّ عامًّا للجمعيّة الجغرافيّة إلّا لبضعة أشهُر، كما أنّه لم ينشُر قطّ تفاصيلَ رحلاته الاستكشافيّة أو نتائج أبحاثه. بالإضافة، اتّسمَ عددٌ من المَهامّ التي وكلتها إليه وزارةُ الشؤون الخارجيّة بالسرّيّة التامّة. لذا يقتضي الواجبُ أن نستفيد من الكتاب الذي بين أيدينا، بهدف التعريف بجانبٍ من استكشافات المهندس الجغرافيّ القدير. والكتابُ عبارة عن مخطوطٍ تمّ تنقيحه وترتيبه ليُصبحَ عملًا يقدّمُ وصفًا مفصّلًا لمدينة حلب في سوريا. فقبل أيّ شيء، يحدّد كالّيي موقع حلب الجغرافيّ، ثمّ يرافقنا في رحلةٍ داخل المدينة لرؤية جوامعها، وأسواقها، وخاناتها. بعدها، يتحدّثُ عن سكّانِها، ولا سيّما الأقلّيّة المسيحيّة والكنائس التي تمثّلُها. وقد اهتمّ كالّيي بهيئة مدينة حلب التنظيميّة وبتركيبتها، سابقًا في هذا علماءَ التاريخ والاختصاصيّين بعِلم الإنسان الذين بدأوا يدرسون مظاهر تلك المدينة في القرن العشرين. نراه يصفُ مبدأ انطوائيّة منازلها وديارها بسبب الضغط السياسيّ والاجتماعيّ والدينيّ. كما يعالج بدقّة شديدة مبدأ الفصل بين الأمكنة العامّة والأمكنة الخاصّة، فيستنتج وجودَ توزيعٍ مكانيّ للفئات الاجتماعيّة والطوائف الدينيّة، بحيث تسكنُ كلّ مجموعة في جزءٍ من المدينة خاصٍّ بها.

إنّ هذا العمل، الوجيز والمليء بمعلوماتٍ وتفاصيل في آنٍ، يقدّمُ شهادةً غنيّة عمّا كانت عليه مدينةُ حلب في مرحلةٍ زمانيّة غير مستقرّة سياسيًّا. يبقى أن نأملَ ظهورَ أبحاث كميل كالّيي الأخرى المتحدّثة عن الشرق، فيلجأ إليها القارئ الراغب في الاستزادة وفي إغناء مَعارفه الجغرافيّة.

آن ماري شكور

AL - MARIFA
المعرفة
مجلة ثقافية شهرية تصدر عن وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية
العدد ٥٧٩ - السنة ٥٠ - محرم ١٤٣٢ هـ - كانون الأول ٢٠١١م

آفاق المعرفة

التعريف بكتاب:

جولات مهندس جغرافي في حلب (١٨٣١ - ١٨٣٢)

عبد الله حجار ❁

إنــه كتاب جديد حقّقه وأصدره الباحثان حسين المدرس وأوليفيه سالمون حول نص مخطوط غير معروف للمهندس الجغرافي كميل كالييه فيه وصف لمدينــة حلب ومبانيها التاريخية في الفترة التي غــزا فيها إبراهيم باشا ابن محمد علي باشا المصري سورية، والدور الذي قام به المؤلف في إقناع المصريين بالانسحــاب من سوريــة والذي أدّى إلى منحه وســام الافتخار العثماني من السلطان عبد المجيد العام ١٨٤٢م.

❁ باحث في التراث العلمي العربي.

العمل الفني: الفنان رشيد شمه.

زادت صفحات الكتاب القيّم جدّاً في معلوماته الدقيقة عن الوضع العمراني لمدينة حلب في بداية الثلاثينيات من القرن التاسع عشر على ٢٠٠ صفحة. وقد أغنت هذه المعلومات والرسوم والصور النادرة القديمة والصور المقارنة الحديثة والتي زاد عددها على المئة صورة أضافها الباحث الفنان الدكتور حسين إلى الكتاب، وهو يذكرنا بقاموس لاروس الذي يعتبر أن النص من دون صور مثل هيكل عظمي دون جسد. وقد صدر الكتاب عن دار المدرس بالتعاون مع دار «شعاع للطباعة والنشر» التي تهتم بنشر الكتب التراثية عن حلب بشكل خاص.

وما أثّر فيّ بشكل خاص إهداء المحقّقين الكتاب للدكتور محمود حريتاني ولي باعتبارنا «محبّي حلب اللذين لا يتعبان». لقد عرف الصديقان المحقّقان أنه لن يقدّر أهمية معلومات الكتاب حقّ قدرها أحد مثل تقديرنا لها، فشكراً لهما من القلب على التعريف بخفايا حلب في العام (١٨٣١ -١٨٣٢م) من نص غير معروف من قبل.

لذلك رأيت من واجبي التعريف بالباحث وبالكتاب إلى قرّاء العربية نظراً لأهمية ذلك في بدايات التخطيط العمراني وحتى قبل صدور مخطط يونغ التنظيمي لمدينة حلب العام ١٨٩٩م. ويحتاج الكتاب في الواقع بكامله إلى الترجمة إلى العربية. وكل الشكر للصديقين الدكتورين حسين المدرّس وأوليفيه سالمون، صديقَي تراث حلب، على تعريفنا على هذا الوصف وهو كنز دفين من كنوز حلب التي تكشف بين الحين والآخر عن مزيد من مفاتنها التي لا تُحصى.

المهندس الجغرافي كميل كالييه:

ولد كميل كالييه العام ١٨٠٤م واتجه نحو الحياة العسكرية ودخل مدرسة البوليتكنيك ثم مدرسة المهندسين الجغرافيين، وعمل العام ١٨٢٨م في قسم خريطة فرنسا في الأشغال العامة وأصبح عضواً في الجمعية الجغرافية العام ١٨٣٠م قبل إرساله في مهمة إلى الشرق لمدّة أربع سنوات عاد بعدها إلى فرنسا ومنح لقب فارس في جوقة الشرف العام ١٨٣٥م والمدالية الذهبية للجمعية الجغرافية العام ١٨٣٦م وأصبح سكرتيرها العام في ١٨٣٦م. ثم وضع تحت تصرّف وزارة الخارجية الفرنسية التي أرسلته في مهمة حمامة سلام إلى مصر وسورية لوضع حدّ للحرب الدائرة بين العثمانيين والمصريين. كذلك كلّف في ما بعد بمهمة في الجزائر، وعيّن العام ١٨٧٠م قائدا أعلى للدفاع عن أسوار باريس التي حاصرها الألمان. وأحيل إلى التقاعد بناء على طلبه العام ١٨٧٨م

وتوفي في باريس في ١٢ كانون الثاني العام ١٨٨٩م.

ويعلمنا المحققان أن أرملة كالييه عهدت بالمخطوط إلى أحد علماء الآثار الذي عهدت أرملته به بدورها إلى المكتبة الوطنية في باريس وقد حمل عنوان «ذكرى من سورية» وتألف من ٢١٩ ورقة بأبعاد ٣١ ×٢١ سم أغناها المحققان بالحواشي والصور الرائعة قديمها وحديثها. ونوّه تييرّي بواسيير مدير المعهد الفرنسي في الشرق الأدنى بحلب في تقديمه للكتاب إلى أهمية النص على قصره في وصف حالة حلب في فترة سياسية غير مستقرة تعرضت لها بدخول الجيوش المصرية العام ١٨٣٢م والموهبة الأدبية التي يتمتع بها كالييه وهو الفنّي الاختصاصي في رسم المخططات والخرائط.

مهمة كالييه في الشرق:

أرسل كالييه مع زميل جغرافي (توفي بعد وصوله حلب بأيام ويدعى ستاماتي) في مهمة اقتفاء أثر خط سير الحملات الصليبية إلى أنطاكية والقدس. وكان المطلوب منه دراسة جغرافية المنطقة غير المعروفة جيدا في آسيا الصغرى وسورية وبترا والعربية مع الإجابة على أسئلة محددة مطلوبة من الجمعية الجغرافية (باربييه دو بروكاج) وعن قلعة سمعان العمودي وسواها.. وخلال عودته قدّم كالييه إلى الجمعية الجغرافية العام ١٨٣٥م خريطة لسورية الجنوبية وفلسطين بمقياس ١/١٠٠٠٠٠ ما أهّله لاستلام المدالية الذهبية للجمعية الجغرافية العام ١٨٣٦م. وكان من هواياته اهتمامه بجمع نماذج من أنواع الصخور والنباتات والحشرات إضافة إلى بعض الكتابات..

حوّلت مهمة كالييه إثر احتلال إبراهيم باشا سورية العام ١٨٣٢م إلى مهمة تقديم معلومات عن الأحداث في سورية وإقناع محمد علي بإيقاف الحرب ضد العثمانيين وقبول التحكيم والتفاوض لإحلال السلام على أسس متينة. من أجل ذلك حضر كالييه مرة أخرى إلى الاسكندرونة ووصل حلب في ٢٦ حزيران ١٨٣٩م لمقابلة إبراهيم باشا الذي انتصر في معركة نصيبين ضد العثمانيين، وانضم إليه ليقنعه بعدم التقدم أكثر والتوقّف في مرعش. وبقي في حلب شهر آب ونزل في ٢ أيلول لمقابلة محمد علي في مصر. لكنّ تدخّل الجيوش البريطانية في سورية العام ١٨٤٠م جعل الجيوش المصرية تنسحب. وقد منح كالييه وسام «نيشان الافتخار» من قبل السلطان عبد المجيد في كانون الأول ١٨٤٢م لقاء سعيه في إحلال السلم. وقد ظل كالييه نشيطا خلال الحرب

بين روسيا والعثمانيين في الخمسينيات من القرن التاسع عشر.

كالييه وجولاته في حلب:

وصل كالييه حلب في أيلول ١٨٣١م وأقام في خان الطاف إلى الغرب من كنيسة الشيباني وأمام دير الرهبان الفرنسيسكان. توفي زميله ساماتي بعد عدة أيام من وصوله إلى حلب وحزن كثيراً لذلك. وبنهاية تشرين الثاني رحل إلى أنطاكية وأضنة وكبادوكيا، وعاد في نهاية العام إلى حلب ليبقى فيها حوالي ثلاثة أشهر قام خلالها بجولاته (نزهاته) ودراساته الجدّية عن حلب، سافر بعدها إلى لبنان وقبرص وصور وفلسطين ..ثم إلى فرنسا في كانون الأول ١٨٣٤م.

لم ينشر كالييه مخططاً عن حلب إثر جولاته (نزهاته) الأربع التي قام بها في أنحاء المدينة القديمة والأسوار وما حولها، لأنه قدّم ملاحظاته عن هذه المباني إثر كل جولة بأسلوب أدبي وشاعري راقٍ وصف فيه ما رآه وما أحسّ به. وكانت كل نزهة تبدأ من خان الطاف وتنتهي إليه، وكانت النزهة الأولى حول أسوار المدينة والثانية في شرق وشمال حلب والثالثة اختصّت بالمباني الهامة في المدينة القديمة والرابعة زار فيها الضاحية الجنوبية من حلب، من دون أن ينسى التعرّض لزلزال حلب المدمر العام ١٨٢٢م وأحوال «القرباط» والمجانين ووصف وصول قافلة من بغداد وسوى ذلك بأسلوب

شعـري يظهر موهبة أدبية عالية لدى كاتب استوعب سحر الشرق وعبّر عنه بإبداع.

والواقـع أنه يجـب أن نذكـر أن أقدم مخطّط يُظهر طبوغرافية حلب قام برسمه كارسـتن نيبـور Carsten Niebuhr (١٧٣٣- ١٨١٥م) طبوغرافي البعثة العلمية التي أرسلها ملك الدانمرك فريدريك الخامس لدراسة منطقة «العربية». وقد رسمه خلال إقامته بحلب (قبل العام ١٧٩٤م) في طريقه إلى الجزيـرة العربيـة وأعطـى نسخة منه إلى صديقه الدكتـور باتريك راسل (١٧٢٧ - ١٨٠٥م) الـذي كان يقيـم آنئـذ في حلب والذي نشره في الطبعة المعدّلة لكتابه «تاريخ حلب الطبيعـي» الذي صـدرت منه طبعة ثانية العـام ١٧٩٤م. ولم ينشر مخطط نيبور إلاّ العام ١٨٣٧م.

ويبـدو أن كالييه لم يطلـع على مخطط نيبور، لكنـه بالتأكيد شاهد مخطّط قنصل فرنسا بحلب جان باتيست روسّو المنظّم العام ١٨١١م والـذي دقّقه وأكملـه العام ١٨١٨م قبل إرساله إلى جان- دونيز باربييه دو بوكاج Jean - Denis Barbié Du Bocage الذي طبعه العام ١٨٢٥م ونشره تحت عنوان «وصف مدينة حلـب» صفحة ١٩٤ - ٢١٧ و«ملاحظة علـى الخريطة العامة لباشليك بغـداد وأورفة وحلب وعلـى مخطط روسّو عـن حلب» صفحة ٢١٨ - ٢٤٤ في «حصاد الأسفار والذكريات» إصدار وطبع الجمعية الجغرافية، الجزء الثاني، العام ١٨٢٥م.

ويبدو أنه بسبب اطلاع كالييه على مخطط روسو وملاحظات دوبوكاج التفصيلية عليه لم يشأ، وهو الطبوغرافي المحنّك والخبير، أن يرسم أو يضيف شيئاً جديداً على المخطّط، واكتفـى بالوصـف الرائع للمبـاني والبيئة المشاهدة والإنسـان المقيم مستعينا بأسلوبه الأدبـي وموهبتـه المبدعة خـلال نزهاته الشاعريـة بين أحياء حلب العتيقة ومبانيها الخالدة وسكانها الطيّبين.

تألّفت المخطوطة من ستة فصول تحدّث الفصـل الأول عن تكوين حلـب وتسمياتها بـين حلب وحلبـون وبيريا وحلـب الشهباء وحديـث النزهـة الأولى عن خـان الطاف وخان الشيباني ودير الرهبان الفرنسيسكان وبيت دوريغيلو (صولا) والبيمارستان النوري وجامع البهرمية (شارع عمر أفندي) وزلزال العـام ١٨٢٢م وباب أنطاكيـة والسور وباب الجنائن والتكية المولوية وباب الفرج وقسطل السلطـان وباب النصر(بـاب مار جرجس) وباب الحديـد والباب الأحمر وباب النيرب وبـاب المقام وبـاب قنسرين قـرب السجن والخندق وحول البلدة .

يتكلم الفصل الثاني من الكتاب عن الدبّاغات والجسر على نهر القويق والبساتين وطبيعة ومزروعات المنطقة وعن «القرياط» فيها وعن حيّ الكتّاب ومقابر المسلمين والنواعير والسمك في القويق وفي الفرات ووصف البساتين وقناة وصل الساجور وقناة حلب والمغاير والشيخ أبو بكر وجبل العضام وقلعة الشيخ يبرق ومدافن اليهود والمسيحيين وجبل النهر والحي اليهودي في بحسيتا ومدخل «المدينة» والخانات وخاصة مكان إقامة إرسالية اللعازريين والكبوشيين وقنصلية فرنسا القديمة مع وصف الأسواق والمقاهي وقره كوز عيواظ والرواة (جمع راوي) في المقاهي.

ومع الفصل الثالث يتابع المؤلف نزهاته واصفا خان الجمرك الهام وعمل الجمركي وديرِ الكرمليت والجامع الكبير(سيّدنا زكريا) والقصر والسرايا وجامع العادلية العثماني الجميل. ويرصّع الفصل بصور جميلة ملتقطة من بداية القرن العشرين ونصفه الأول لمئذنة الجامع الكبير وحلب وجامع العادلية مع صور حديثة للمقارنة.

ونتابع مع الفصل الرابع الجولة في القسم الجنوبي من حلب منطلقاً كالعادة من خان الطاف الذي يقيم فيه مروراً بمصبنة قبل وصوله إلى باب قنسرين. ويذكر أن سبع مصابن تكفي حاجة المدينة والضواحي وقرى الجوار، وكان هناك مقهى غير بعيد عن باب قنسرين يرتاده جنود حامية الباب. ويمر بكروم الفستق والكلاسة وجبل الشيخ محسّن (ويسميه الإفرنج إيزوليتيIsoletti) الذي يبدع المؤلف في وصف مشهد مدينة حلب منه عند المغيب. ويذكر المغاير وصانعي الحبال وعمال معامل النسيج، ويذكر الشالات والكشمير والسجاد العجمي والتركي الذي ليس له مثيل في المصانع الأوروبية، ويعقّب قائلا: «يبدو أن هذه الموهبة في إنتاج الفروق والتفاصيل الناعمة في شفافية الألوان بانسجام كبير هي إحساس غريزي لدي شعوب الشرق». ويذكر القنباز للرجل والفستان للمرأة المصنوعين من الحرير الطبيعي الذي يجلب غالباً من أنطاكية، ويزيّن الكتاب صورة شراء شرانق الحرير في أنطاكية من بداية القرن العشرين. وقد تناقص إنتاج البضائع والثياب الفاخرة والمطرّزة بخيوط الذهب والفضة مع فقر السكان. وتتابع الجولة مرورا بساحة بزة وقلعة الشريف وباب المقام ليعود إلى خان الطاف مروراً بجامع العادلية.

في الفصل الخامس يبدي الكاتب دهشته من خلو حلب من المعالم الأثرية القديمة، ويذكرها المؤرخ سترابون باعتبارها

بلـدة صغيرة غير ذات أهميـة بالمقارنة مع أنطاكية وأفاميا واللاذقية، ولا تقدم المدينة للرحالة بقايا رومانية أو بيزنطية هامة -مثل القسطنطينيـة، وتعتبر بموقعها على طرف الصحراء مثل مرفأ لهذا البحر من الرمال، تأتيها القوافل الكبيرة مـن البصرة وبغداد وفي أسواقهـا الشهـيرة بين أسـواق الشرق تُتَبـادل سلع الهند وإيـران وتركيا وأوروبة. ويصف المؤلف مسيرة قافلة وكيفية دفاعها عن نفسها في حال مهاجمتها من البدو، كما يصف سعاة البريد على جمالهم ومشاهدته أحـد السعـاة القادم من بغـداد إلى حلب، ويذكر كذلك الحَمَام الزاجل الذي يستخدم في نقـل الرسائـل الصغـيرة وفي المسافات القصيرة.

وكرّس الفصـل السادس والأخير من الكتـاب لسكان حلـب بمختلـف أطيافهم مـن مسلمـين ومسيحيين ويهـود ولتواجد الإرساليـات الكاثوليكيـة في حلـب منـذ العـام ١٦٢٥ (اللعازريـون في خان البنادقة والكبوشيون في خان أبـرك والكرمليون في خان الجمرك والرهبـان الفرنسيسكان في خان الشيبـاني). ويتعرّض إلى ثورة الشعب التـي استمـرت ١٠١ يوم في عهـد الوالي خورشيد العـام ١٨١٩م ويذكر زلزال العام ١٨٢٢م ومـا أحدثـاه من دمـار في شوارع ومبـاني حلب. ويذكر أن عـدد سكان حلب العام ١٨٣٢م هو ٧٥٠٠٠ نسمة منهم ٥٠٠٠٠ مسلمـون موزعون بـين إنكشارية وأشراف (السيَـدا) و٢٥٠٠٠ مسيحيـون يقطنون في «الجديـدة» (ربمـا الرقم مبالغ بـه) منهم ٢٣٠٠٠ كاثوليـك (١١٠٠٠ روم كاثوليـك و٦٤٠٠ أرمـن كاثوليـك و٤٠٠٠ سريـان كاثوليـك و١٧٠٠ موارنة) و٢٠٠٠ أرثوذكس (منهم ١٥٠٠ أرمن أرثوذكس و١٠٠ نساطرة، ونسـي كالييه أن يذكر الـروم الأرثوذكس). وكان القنصل الفرنسي شوفالييه دارفيو قد قـدّر عدد سكان حلـب في العام ١٦٨٣م ب ٢٨٥٠٠٠ نسمة (٢٥٠٠٠٠ مسلم و٢٥٠٠٠ - ٣٠٠٠٠ مسيحـي) ويذكر تقرير لليسوعيين أن طاعون العام ١٧١٩م أباد ١٢٠٠٠٠ نسمة من سكان حلب. وقد تراجع عدد السكان بين التاريخين المذكوريـن (١٦٨٣ و١٨٣٢م) إلى الربع تقريباً بسبب انحدار التجارة والأوبئة والأمراض المعديـة والحـروب والزلازل. ويذكـر كالييه أن عـدد اليهود في حلب في أيامـه حوالي ٢٠٠٠ عائلـة يسكن معظمهم في محلة بحسيتـا حيث كنيسهم، وقلّة منهم عائلات غنية مثل عائلـة بيجوتو التي مثّل أفرادهـا معظـم قناصل الـدول الأجنبية بحلب، واحتكارهم مهنة الصرافة وحذقهم في عقـد الصفقات التجاريـة. وذكر بعض

التقاليد الخاصة في زواج اليهود وتأكدهم من بتولية العروس يوم الزواج.

والطريف أن كالييه يذكر أنه: «في الكنائس الكاثوليكية بحلب يقدّمون صلوات القدّاس كلّ بلغته الأصلية، اليونانية أو السريانية أو الأرمنية، لكنّ الإنجيل كان يقرأ بالعربية كي يفهم المؤمنون مضمون القراءات المقدسة، وهذا معقول». ويتساءل بدوره ألا يمكن تبنّي شيئاً مماثلاً في الكنيسة اللاتينية في أوروبة؟ (حيث يقدّم القداس لدى الكاثوليك باللاتينية وهي لغة بائدة لا يتكلّمها أحد).

والواقع أنه تمّ إنجاز كبير مع مقرّرات المجمع الفاتيكاني الثاني العام ١٩٦٤م حيث سُمح لكل طائفة كاثوليكية في العالم أن تتلو صلواتها في القداس بلغاتها الأصلية الفرنسية أو الإنكليزية أو الألمانية أو الإيطالية أو الإسبانية أو العربية.. كي تفهم جماهير المؤمنين معنى الصلوات والابتهالات، ولا مانع من استعمال بعض التراتيل الدينية الشهيرة باللغة اللاتينية أو اللغات الطقسية الأخرى. وهذا ما يتم حاليا لدى الطوائف المسيحية بحلب على اختلافها.

وأضاف المحققان ملاحق لفصول الكتاب ضمت رسائل وثائقية وجّهها كميل كالييه إلى الجمعية الجغرافية وإلى جوزيف -فرانسوا ميشو وإلى والده إضافة إلى ترجمة براءة وسام الافتخار الذي منحه إياها السلطان عبد المجيد.

إذن، الكتاب بحق دعوة لاكتشاف المباني التاريخية في حلب ضمن الأسوار وما حولها من خلال جولات مفيدة للسائح المعاصر. وهو بفصوله وصوره الجميلة المضافة والتي أضفت بعداً جمالياً للوصف الشاعري بأدبه الراقي يعتبر لبنة هامة تضاف إلى بنيان التعريف بذاكرة حلب في مختلف مراحلها التاريخية، والذي يقوم الصديقان الباحثان الدكتور حسين المدرس والدكتور أوليفيه سالمون بتقديمه إلى المكتبة العربية.

Le livre du mois:
Mémoire sur la Syrie

«Les journées de la Francophonie»
Alep

Peggy Voigt & Irina Unger

AleppoScope 2011

Year 2 - Issue 2

Le livre du mois:

Mémoire sur la Syrie
Ou
Promenades d'un ingénieur géographe a Alep Recueil d'informations sur la Syrie 1830-1834 par le General Camille Callier (1804 -1889) Ce livre, édité pour la première fois par les chercheurs Hussein El-Mudarris et Olivier Salmon - aux éditions

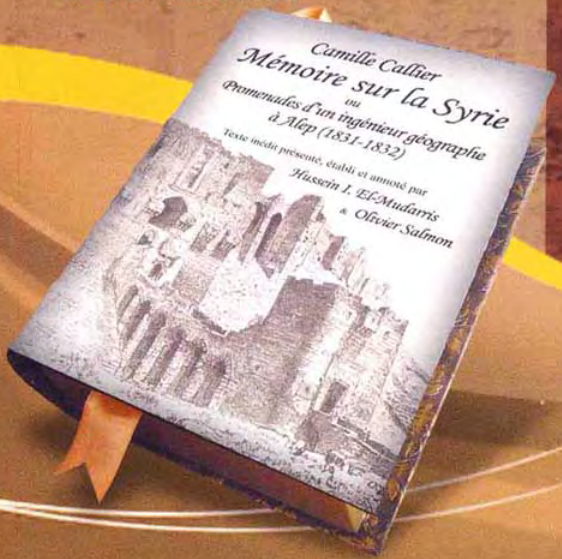

RAY- REND COMPTE DES SEJOURS DU General a Alep, de ses promenades ainsi que de ses découvertes des alentours. " Dans ce pays tout de poésie c'est souvent par ce cote-la qu'il faut voir les choses pour en apprécier l'action sur l'esprit des Orientaux, car c'est presque toujours a ce point de vue qu'ils se placent eux-mêmes. Ne sait-on pas que la poésie est la fille de l'Orient? C'est donc a elle de nous faire les honneurs du pays et de nous en expliquer ce qui nous parait mystérieux" fin de citation